Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما أن فتح باب بيته حتى بدأ الاتصال الذى ولد التحول الحقيقى بعد العناد والمكابرة .. الاتصال بالأم .. بالطبيعة : « كان بهاء القمر رائعا روعة نادرة ، واستجابت روحه السامية لما حوله ، وشعر فجأة أن جمال الليل الشاحب وجلاله وبهاءه قد حرك قلبه . وفى حديقته الصغيرة التى سبحت فى ضياء باهت عكست أشجار الفواكه ظلالها على ممر الحديقة ، أغصان دقيقة من الخشب تكسوها الخضرة . ومن الزهور المتسلقة على الحائط انبعثت رائحة لذيذة حلوة علقت كروح عطرة بالليل الدافىء الصحو .

وبدأ يتنفس تنفسا عميقا يحتسى الهواء كما يحتسى السكير الخمر . وسار ببطء مسحورا مبهورا حتى كاد ينسى ابنة أخته . وعندما وصل الى بقعة عالية وقف يرقب الوادى بأجمعه وقد امتد تحت بصره وبهاء القمر يحتضنه ، وسحر الليل الهادىء الحنون يغرقه ، ونقيق الضفادع يتردد فى نغمات قصيرة ، والبلابل عن بعد أشجاها القمر فتغنت واختلط غناؤها فى موسيقى لاثير الفكر وانما تثير الأحلام » .

واستمر الأب يمشى : « وتحت بصره ، حول منحنى النهر امتد صفان طويلان من الأشجار . وفوق شطى النهر سبحت سحابة خفيفة بيضاء تخللتها أشعة القمر فأضفت عليها لون الفضة وبريقها » . وسؤال ملح يدور اذ ذاك فى عقله : « لماذا فعل الله ذلك ؟ اذا كان الليل للنوم ، للاغفاء ، للراحة ، للعدم ، فلماذا كان أكثر سحرا من النهار ، وأحلى من الغروب والشروق ؟ وهذا الكوكب البطىء الخلاب الذى يغلب جماله على جمال الشمس ، والذى يضىء الكائنات بنور دقيق يستعصى على الشمس .. هذا الكوكب لم يشرق لينير الظلال ؟ ولم لا يأوى البلبل الصداح الى النوم كغيره من الطيور ؟ ولم هذا الحس الذى يتسلل الى الروح وهذا الخمول الذى يغزو الجسد ؟ ولم هذا الوشاح الذى ينسدل على الأرض ، وهذا السحر الذى لا ينعم به الانسان اذ يأوى الى فراشه فى الليل ؟ لمن خلق الله هذا الجلال ، هذا الفيض من الشعر الذى يتدفق من السماء الى الأرض ؟ .. » .

وفى التربيع الأخير يلفظ القمر أنفاسه . وقد شهدت قصة : « حب » هذه النهاية الحزينة فى ليلة ثلجية قاسية : « كان القمر .. مائلا على جنبه وكان شاحبا يبدو خائر القوى وسط الفضاء ، وقد بلغ منه الضعف فلم يعد يستطيع سيرا ، وظل معلقا فى السماء وقد أمسك به القر وشل حركته . وكان ينشر على الكون ضوءه الحزين ، ذلك الضوء الشاحب الذى يرسله فى آخر أيامه » .

* * *